

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الجزء الأول

مترجم زرادشت

- ١ -

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبجيرة وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بمزقه وتفكيره إلى أن تبدلت سريره ، فنهض يوماً من رقادته مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يتأمله قائلاً : . .

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أكان لك غبطة ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات ما برحت تشرق على كهفي ، فلولا نسري وأفعاى ، لكنت ملكت أنوارك وشمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا إليك . أصغ إلى ، لقد كرهت نفسي حكمتي كالنحلة أنخمها ما جمعت ، فن لي بالأفك تنبسط أمانى لأهب وأغدق إلى أن يفتبط الحكماء من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم

تلك هي الأمنية التي تهيب لي للجنوح إلى الأعناق ، كما تجمع أنت كل مساء منحدرًا وراء البحار حاملاً إشعاعك إلى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكذوز

لقد وجب على أن أنوارى أسوة بك ، وجب على أن أرقد على حد تعبير الأناسي الذين أهفو إليهم

باركني ، إذن ، أيها الكوكب ، فأنت القلة الطمئنة التي يسمونها أن تشهد ما لا يحد من السعادة دون أن تختلج كقلة الحاسدين بارك السكاس الدماق تسكب سلسيلاً مذهباً ينثر على الآفاق وهجاً من مسراتك .

أنظر ! إن هذه السكاس تريد أن تندفق ثانية ، ويريد زارا أن يمود إنساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا إلى النيب

- ٢ -

وانحدر زارا من الجبال فالتى أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخ خرج من كوخه بفتة ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال الشيخ :

— ليس هذا الرحالة غريباً عن ذا كرتي ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمر . لقد كنت تحمل رمادك في ذلك الحين إلى الجبل ، يا زارا ، فهل أنت تحمل الآن تارك إلى الوادي ؟ أفما تحاذر يا هذا أن ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينة الصافية ، وليس على شفتيه للاشتزاز أثر ؛ أفما تراه يتقدم بخطوات الرافعين ؟ لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه إلى طفولته . لقد استيقظت يا زارا فإذا أنت فاعل قرب الناعمين

كنت تعيش في العزلة كمن يعم في بحر والبحر يحمل أنفاله ، وأراك الآن تتجه إلى اليابسة ، أفتريد الاستغناء عن حملك لتسحب هامتك على الأرض بنفسك ؟

فأجاب زارا : إنني أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : إنني ما طلبت العزلة وانجهمت إلى الغاب إلا لاستغراق في حبه ، أما الآن فقد حولت حبي إلى الله ، وما الإنسان في نظري إلا كائن ناقص ، فإذا ما أحببته قتلتني حبه فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ؟ إنني لا أقصد

الناس إلا لأفرحهم بالهدايا

فقال الحكيم القديس : إياك أن تعطيتهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ منهم ما تساعدهم على حمله ، ذلك أجدى لهم على أن تقم سهمك من هذا الخير ، وإذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس إلا صدقة على أن يقدموا إليك مستجدين أولاً فأجاب زارا : أنا لا أتصدق ، إذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لي أن أكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهنك إذن إقناعهم بقبول كنوزك ، إنهم يحاذرون النازلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهدايا ؛ إن لخطوات الناسك في الشارع وقعاً مستغرباً في آذان الناس . إنهم ليحفظون على

صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما أدعو الانسان ليتحول إلى شبح أو إلى نبات

لقد أنبتكم نبأ الانسان المتفوق

إنه من الأرض كاللبن من المني ، فانتجته إرادتكم إلى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

أتوسل اليكم ، أيها الأخوة بأن تحتفظوا للأرض باخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بأمال تتعالى فوقها ؛ إنهم يعلمونكم بالمحال فيدسون لكم السم ، سواء أجهلوا أم عرفوا ما يعملون ، أولئك هم الزدرون للحياة ، لقد رعى السم أحشائهم فهم يحتضرون ؛ لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من يجد بطايل عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائلاً متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانشقاق منه ومن الأرض التي يدب عليها . وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهي لجسدها ناحلة قبيحة جائلة ، تتوهم أن أقصى لذتها إنما يمكن في قسوتها وإرغائها .

أفليس روحكم ، أيها الأخوة ، مثل هذه الروح ؟ أفأتمان لكم أجسادكم عنها أنها مسكنة وقذارة وأنها غرور يستعري الاشفاق ؟

والحق ما الانسان إلا غدير دنس ، وليس إلا أن أصبح محيطاً أن يقتبل انصباب مثل هذا القدير في عبابه دون أن يتدنس تملوا من هو الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك المحيط تفرقون احتقاركم في أغواره وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة ؟ لقد آن للاحتقار أن يبلغ أشده فيكم ، بعد أن استحال شرفكم ذاته كما استحالت عقولكم وفنائكم إلى كبر واثمزاز لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمني شرفي ، وما هو إلا مسكنة وقذارة وغرور ، في حين أن على الشرف أن يبرر الحياة نفسها لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمني القوى العاقلة في ، إذا لم تطلب الحكمة بمجوع الأسد ، وما هي الآن إلا مسكنة وقذارة وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمني فضيلتي فلها لنا تصل بي

مرأقدهم إذ يسمعونها فيتساءلون : إلى أين يزحف هذا اللص ؟ لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك في الغاب ، فالأجدر بك أن تعود إلى مراتع الحيوان ، أفلا يرضيك أن تكون مثل دبا بين الدية وطيراً بين الأطيوار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس في هذا الغاب ؟

فأجاب القديس : إنني أنظم الأناشيد لأترجم بها ، فأراني حمدت الله إذ أسرَّ نجواي فيها بين الضحك والبكاء ، لأنني بالانشاد والبكاء والضحك والناجاة أسبح الله ربي ، ومع هذا ، فما هي الهدية التي تحملها إلينا ؟

فأجبنى زارا مسلماً وقال للقديس : أي شيء أعطيك ؟ دعني أذهب عنك مسرعاً كيلا آخذ منك شيئاً وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان وعندما انفرد زارا قال في نفسه :

— إنه لأمر جده مستغرب ، ألما يسمع هذا الشيخ في غابه أن الآله قد مات^(١)

— ٣ —

وإذ وصل زارا إلى المدينة المجاورة ، وهي أقرب المدن إلى الغاب ، رأى الساحة مكتظة بمخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلواناً سيقوم هنالك بالألعاب ، فوقف زارا في الحشد يحطبه قائلاً :

— إنني آت اليكم نبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه ، فإذا أعددتهم للنفوق عليه ؟

إن كلام الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى في مدها ؛ بل إنكم تؤثرون التفهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للنفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد أنجهم على طريق مبدؤها الدودة ومنهاها الانسان ، غير أنكم أبقيتهم على جل ما تتصف ديدان الأرض به . لقد كنتم من جنس القروء فيما مضى ؛ على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القروء في قرديته

ليس أوفركم حكمة إلا كائن مشوش لا يمت بنسبه إلى أصل